انتقال مريم العذراء الى السماء بالنفس والجسد

للاب نقولاوس قادري قب

« ان مريم والدة الاله التي حُبل بها بلا عيب توجد حية في السماء بجسدها ونفسها المجدّين منذ رحيلها عن الارض ».

هذه هي العقيدة الايمانية التي أعلنها قداسة الحبر الاعظم وحدّدها بسلطانه الاعلى بما انه نائب المسيح ورئيس الكنيسة المنظور والمؤتمن على وديعة الايمان.[1] وقد جاء هذا التحديد الحاسم ملائماً لحاجات العصر الذي طغت عليه سيول المادة الجارفة والانانية الجشعة واهانة الامومة واحتقار الطهارة وهدم العفاف . جاء دواء جديداً لهذه الازمة الروحية التي نشعر بها في ايامنا . جاء صوتاً من السماء يُسمع ابناء الارض هذا الانطلاق والانفلات من المادة ويرفع بالقلوب الى ما فوق هذا التراب . فالعالم هو بحاجة ماسة الى هذا الانطلاق السموي ومريم المجدة بجسدها ونفسها تجاوب على هذا التحفز بامطار غزيرة من النعم تدفقها على ابنائها الشبان والشابات وعلى المرتبطين برباط الزواج المقدس وعلى غير المتزوجين.

وهذا السر الاخير الذي ختم حياة مريم العذراء في هذا العالم يُسمّى سر الانتقال سرّ التمجيد . ويعني ذلك الفعل الذي به أصعد الله الى السماء العذراء القديسة لتتمتع بالنفس والجسد بمجد الخلود الذي لم يحصل عليه القديسون بعد وانما ينتظرون القيامة العامة وبعد يلبسون اجسادهم المجدة وينعمون بهذا الخلود الدائم لا بنفوسهم فحسب بل باجسادهم ايضاً .

فالانتقال بالمعنى الحصري يقوم بهذا الانتصار على الموت الذي يتم في آخر الازمان بالنظر الى مجموع الناس وهذا الانتصار على الموت هو حالة مريم التي تنعمت وحدها بهذا الانتصار بعد نهاية حياتها الارضية .

وانتقال العذراء يُشبه صعود المسيح الى السماء غير ان هذا الصعود قد تمّ بفعل ارادة شخصية وبقدرة يسوع الذاتية . بينما ان انتقال مريم صار بقدرة الله وهو انعام خاص بمريم ونعمة من الابن لامه . صعد المسيح بذاته واما

1) اول تشرين الثاني ١٩٥٠ ، براءة البابا بيوس الثاني عشر

العذراء. فأصعدتها ملائكة العلي وخدام الكلمة[1] الى السماء. صعد الرب يسوع بعد ان مرّ بباب الموت ولم يدع الفساد يقترب منه ولا من جسده الطاهر فقام ونفض عنه غبار الموت وطحن حجر الضريح كقشرة بيضة العصفور وأبان قوة جناحيه وفتح عرينه بعد ان صرع الموت عدوه وخصمه فتح قبره بذاته وصعد الى السماء بذات سلطانه وبقي على الارض مدة اربعين يوماً يتردد بين تلاميذه ويكلمهم عن ملكوت ابيه[2] واخيراً دعاهم الى جبل الزيتون[3] ومن هناك صعد على مرأى من رسله وباركهم ثم حجبته سحابة عن عيونهم. غير ان حظ الام لم يكن بأقل من حظ الابن. الا اننا لا نعرف شيئاً بتأكيد مثبت اذ ان الاناجيل المقدسة ورسائل بولس واعمال الرسل لم تذكر شيئاً عن هذه الآخرة المقدسة التي قضتها والدة الرب فيما بين تلاميذه. انما نتساءل الآن كما تساءل المسيحيون في القرون الاولى للنصرانية: هل وجب على العذراء ان تمر بالموت قبل ان تصل الى الحياة المجيدة بالجسد والنفس؟ وكم من الوقت لبثت تحت سيطرة الموت؟ وهل دفنت حقيقة؟ واذا كانت قد دفنت هل اقترب منها البلى والفساد المسيطران على ابناء آدم؟

على هذا السؤال الاخير يمكننا ان نجاوب باثبات: اذا كانت مريم العذراء قد ماتت فجسدها لم يعرف البلى والفساد. اما عن تحديد الزمن الذي مرّ بين موتها وقيامتها فلا نعرف شيئاً على الاطلاق. واما حقيقة موتها فقد سلمت بها الكنيسة الشرقية والغربية وخصوصاً حين عيدت عيداً لموت وانتقال العذراء المجيدة في الخامس عشر من آب وهذا العيد يرقى الى ما قبل القرن السادس وبعد مجمع افسس سنة ٤٣١ الذي حدد امومة العذراء الالهية واثبتها عقيدة ايمانية.

العقيدة اللاهوتية

كان اللاهوتيون والآباء يعتقدون بأن مريم العذراء انتقلت الى السماء بالنفس والجسد ولكن لم يكن لديهم البراهين الكافية لاثبات هذه العقيدة من الوحي المقدس فكانوا اذاً يعتقدون مع الكنيسة المؤمنة ولو لم تحدد بسلطانها الاعلى هذه الحقيقة الايمانية فتركت للاجيال ولعبقريات القرون ان تشحذ قرائحها

١) ميناون ١٥ آب غروب كانيذ ص ٨٣٥

٢) أعمال ١–١ و ١٢ ٣) لوقا ٢٤ ٥٠.

وفكرها حتى تتصل الى اثبات اكيد يرتكز على مبادئ علم اللاهوت وعلم الكتاب والمنطق فيرتاح العقل ويطمئن الفؤاد ويتقوى الايمان النيّر ولو لم يكن هناك شك او ضعف ايمان.

وهذا الاعتقاد النيّر اخذ نشأته عنـد نضوج الفكر المسيحي الذي بدأ يُحلل نقاط التعليم المرعي الموحاة بين حقائق اخرى منزلة ويستنتج منها الانعام الخاص بتمجيد جسد مريم وذلك بعد موتها بقليل من الزمن.

وقد علم اللاهوتيون ان الموت شريعة عامة تشمل الانسانية كلها كما يوحي ذلك الكتاب المقدس والليتورجيا وكما يعلم الآباء. وهذا معتقد الكنيسة الذي يُثبته اختبار القرون والاجيال.

يعتقد اكثر اللاهوتيين ان مريم العذراء ماتت وهذا الشعور بموتها قد سادَ بين العلماء حتى اصبح موتها حادثاً تأريخياً مثبتاً بالكفاية وحادثاً ايمانياً يضمنه التقليد.

ان موت مريم العذراء حادث تأريخي والاعتقاد بانتقال جسد العذراء اخذ نموّه مع الأيام ولربما وُجد من قاوم هذا الاعتقاد لعدم وجود شهود عيانيين على قيامة العذراء غير ان الكنائس كلها قد اعتقدت تمام الاعتقاد واتحدت آراؤها — وان كانت قد اختلفت في مسائل اخرى — فقد اتحدت كلها بايمان واحد وصرّحت بان العذراء قد انتقلت بعد موتها الى السماء بجسدها ونفسها.

وقد لاحظ بعض علماء اللاهوت ان مسألة موت العذراء مسألة ثانوية والكنيسة ولو كانت تعتقد بالاجماع بموت العذراء فمع ذلك لم تحدد موقفها اذ ان الموت غير ضروري للمجد السماوي فيمكن لجسد العذراء مريم ان يتمجد بدون ان يمرّ بسرادب الموت كما كان مقرراً لكل انسان قبل ان يخطأ آدم.

اجل ينفصل الجسد عن النفس بالموت ولا يبقى بينهما من اتحاد قريب ولا يتم الاتحاد من جديد الا في الدينونة العامة. والعذراء مريم ذهبت من هذا العالم ونأت عنه بعد ان عاشت فيه مثل سائر البشر غير ان الموت لم يستطع ان يقيدها بسلاسله ولم يدنُ البلى والفساد من ذلك الجسد الطاهر وذلك، يعلم القديس توما الاكويني، لاسباب عديدة اهمها ان الاله الكلمة اتخذ امه واعتقها من ثلاث لعنات[1]:

(1) Somme, III P. q. XXVII et commentaire du «Benedictu in mulieribus».

انقذها من اللعنة الخاصة بالمرأة وحدها وخلصها من ألم الولادة .

انقذها من اللعنة الخاصة بالرجل وحده وهي بعرق جبينك تأكل خبزك .

اخيرًا انقذها من اللعنة المشتركة بين المرأة والرجل وهي « انت تراب والى التراب تعود ».

تحررت العذراء مريم من هذه اللعنة الثالثة لانها ما رجعت الى التراب الذي جبلت منه ولكنها ارتفعت الى السماء بجسدها وارتفعت فوق التراب وصعدت الى السماء على اجنحة الملائكة .

واسباب هذا الانتقال كما يعلم اللاهوتيون هي طهارة مريم وامومتها الالهية . فالعذراء انتقلت الى السماء وتمتعت بجسدها الطاهر بمجد الخلود لان هذا الجسد حُبل به بلا خطيئة أصلية . اذن لها حق على الخلود الجسدي.

انما يبقى حلُّ المسألة هذه : هل يمكننا من دوام بتولية مريم المحددة في المجامع عقيدةً ايمانية هل يمكننا من دوام هذه البتولية ان نستخلص بوضوح عقيدة الانتقال المجيد كما يستنتج المسبب عن علته . فالاب مرتين جوجي Martin Jugie [1] لا يعتقد بامكانية كهذه ولا يقبل بهذا التسلسل السديد دون ان نمرّ بالامومة الالهية والحبل بلا عيب فالاهتمام الذي بذله الكلمة الالهية ليحافظ بنوع عجيب على بتولية امه ودوام هذه البتولية لا يوصلنا الا الى هذه النتيجة وهي صون الجسد من الفساد والبلى .

مع ذلك كثير من آيات الآباء واقوالهم اذ يتكلمون عن الانتقال يضمّون هذه العقيدة الى عقيدة « البتولية الدائمة » وما حقيقة الانتقال سوى طهارة سامية وامومة مقدسة اعني بتولية مخصبة وامومة عذراء. فعلم اللاهوت وجد صلات متعددة بين سر البتولية الدائمة في مريم وبين سر انتقالها بالنفس والجسد الى السماوات .

فالبتولية في اطارها الثلاثة تقود الى الانتقال المجيد . بتولية في الحبل بها البريء من العيب بتولية في الحبل بيسوع المسيح دون علاقات زواجية. ونفي الشهوة ضروري لينفي عن يسوع دينَ الخطيئة الاصلية ويبعد عنه الابوة البشرية . فالحبل البتولي يتطلب اعجوبة كبرى من قبل الله واذا ما تمت هذه الاعجوبة فلا بد من القول ان الله حفظ مريم وصان جسدها البتولي من الفساد

(١ Maria, T.I. p. 653-654. *Etudes sur la Sainte-Vierge.*

اذ الفساد هو نتيجة الخطيئة والشهوة والميل غير المرتبين . وبما ان الخطيئة الاصلية لم تملك على مريم ولا برهة من الزمن فهي لم تملك حتى في نتائجها وعاقبتها التي هي الفساد والبلى الجسدي .

واما الميلاد البتولي فلا تتطلبه الاسباب القصية اذ ان اللعنة امتدت على أوجاع الميلاد فقط . ففي حالة البرارة الاصلية كان على المرأة ان تلد كما في النظام الحالي ولكن بدون ألم . فالاعجوبة الثانية لبتولية مريم تفوق كثيراً حالة البرارة الأولية . مع ذلك يقول العلامة فريتوف « في الميلاد البتولي تحررت مريم من اللعنة القائلة « بالأوجاع تلدين »[1] .

فالبتولية الدائمة التي حافظت عليها العذراء كل حياتها حتى في وبعد ميلاد المسيح فهي انتصار خالد على الموت (القديس غريغوريس نيصص) . فليست بتولية مريم بتولية حرب وعراك كما هي فينا بل هي بتولية البرارة الاصلية التي تولي حقاً رفيعاً على النجاة من البلى والفساد في القبر . وهذا التخلص من الفساد والبلى لا يحسب انتقالا بل طريقاً تؤدي الى الانتقال المجيد . وجدت الكنيسة المقدسة في درسها لبتولية مريم انه من المستحيل على هذا الجسد الطاهر والمختص بالأم النقية أن يرضى بالفساد ويخضع له فمن اللائق اذن ان هذا الجسد الطاهر في الحبل وفي الولادة وبعد الولادة[2] . من اللائق به ان لا يمسه فساد ولا يلبث رهن الغبار . وكما ان النفس الطاهرة تتحد ضرورة بالله هكذا من الضروري ان الجسد الطاهر في هذه الحالات الثلاث يبقى بعيداً من الفساد ومصوناً من كل بلى وغبار وبالنتيجة ينتقل من هذه الأرض ويصعد ليتحد بالله بكمال الكيان .

سر الانتقال والكتاب المقدس

هل نجد في الكتاب المقدس اثراً للانتقال الذي ختم حياة ام الاله على الارض؟ ان اللاهوتيين يعلمون باتفاق الرأي ان عقيدة الانتقال هي غير مذكورة بوضوح وبنوع صريح في الكتب الموحاة بحيث لا نجد لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد شهادات صريحة على النوع الذي به غادرت مريم العذراء . هذه

١) تكوين ٣ – ١٦

٢) القديس يوحنا الدمشقي او كليخوس لحن سابع صفحة ٢٤٢ من طبعة دير مار يوحنا الشوير ١٨٦٦

الأرض لتذهب الى السماء لا نتعجب من صمت كهذا حتى في العهد الجديد وخصوصاً في الاناجيل الاولى الثلاثة والاعمال ورسائل بولس لانها قد كتبت قبل موت العذراء. كذلك لا نجد أثراً على الانتقال في العهد القديم لانه سابق الاوان وقد كتب قبل ميلاد العذراء. وبالنتيجة لا يتكلم شيئاً وضعياً لا عن موتها ولا عن انتقالها . قلنا لا يتكلم العهد القديم شيئاً لا بالنص الحرفي ولا بالمعنى المادي ولكنه تكلم بالاشارات والرموز وبالمعنى الروحي. فالآباء القديسون والخطباء والوعاظ استعاروا بعض الآيات والرموز الكتابية وطبقوا معانيها على مريم البتول « اذ كان كل شيء يحدث برموز » .

لقد استخدم الآباء بعض الآيات من كتاب المزامير ونشيد الاناشيد ليثبتوا انتقال العذراء واختاروا المعنى الروحي وفضلوه على المعنى الحرفي لأن فيه ملاءمة مع الحقيقة . وقد دلوا على انتقال مريم بالجسد والنفس الى السماء وعلى انتصارها على الفساد بقول داود النبي : « قامت الملكة من عن يمينك بذهب اوفير »[1] . وشبهوا مريم بالتابوت الناطق الحي الذي هو اجل بكثير من تابوت العهد فقالوا : « قم ، يا رب ، الى راحتك انت وتابوت قدسك »[2] وفهموا ان معنى كلمة « تابوت » يعني جسد مريم العذراء الذي كان بمثابة هيكل لجسد يسوع المسيح في حين تجسده في احشاء البتول .

واكثر الخطباء المسيحيين يتغنون بانتقال والدة الإله بآية سليمان في نشيد الاناشيد : « من هذه الطالعة من القفر كعمود من بخور معطرة بالمر واللبان[3] » فالطالعة من القفر هي مريم الصاعدة الى السماء بالجسد والنفس « من هذه الطالعة من القفر المستندة الى حبيبها ؟ »[4] ولا يغيب عن فكرهم ذلك النور الوضاء الذي تنعم به مريم العذراء بجسدها فيصرخون مع سليمان : « من هذه المشرقة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس ؟ »[5] . من الصعب جداً ان نرى في هذه الآيات تحديداً واضحاً لليوم الذي فيه صعدت مريم العذراء الى السماء. انما نجد مطابقة تقية عاطفية لا غير .

وقد وجد بعض اللاهوتيين تلميحاً الى انتقال مريم في سفر الرؤيا ليوحنا

---

١) مزمور ٤٤ — ١٠ ٣) نشيد ٣ — ٦

٢) مزمور ١٣١ — ٨ ٤) نشيد ٨ — ٤ ٥) نشيد ٦ — ١٠

الحبيب ، بحيث يجدون مطابقة سديدة لهذه العقيدة في ذلك الصراع القائم بين المرأة والتنين. ففي الفصل الثاني عشر نرى الآية العظيمة : « وظهرت في السما. آية عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً[1] ». رأى كثير من الآباء في هذه « الاية العظيمة » مريم العذراء الملتحفة بالشمس والمتوجة باثني عشر كوكباً وهذا من الاعتقاد الأولي بين المفسرين والآباء من أريس اسقف قيصرية ومتوديوس اسقف اورشليم والقديس اغسطينوس وكلهم يؤكدون ان هذه المرأة هي مريم ام الله ففي هذا الفصل يرى يوحنا ام الله القديسة ترتفع الى المظال السماوية وتتمتع بمجد الخلود ويرى في هرب المرأة من وجه التنين تلميحاً الى الانتقال : « وهربت المرأة الى البرية وقد اعطيت جناحي النسر العظيم لتطير من وجه الحية الى البرية الى موضعها حيث تُعال زماناً وزمانين ونصف زمان»[2]. فالنسر هو الله هو السيد المسيح الذي خلص امه من اضطهاد ابليس بنقلها الى المكان المعد لها في السماء. ونحن نعتقد ان هذه المطابقة التي فهمها كثير من الآباء واللاهوتيين هي جديرة بمريم التي تخلصت من يد ابليس ومن يد التنين بانتقالها بالجسد والنفس الى السماء.

وربما استخدم اللاهوتيون بعض الاشارات الضمنية وفسروها بالمعنى الروحي وطبقوها على شخص مريم ومن هذه الاشارات المضمرة قول الله للحية التي تجسم الشيطان عدو البشر : « اني أجعل عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها فهو يسحق رأسك وانت ترصدين عقبه »[3]. فالمرأة التي تسحق رأس الحية هي مريم العذراء. تسحقه في الحبل بها البريء من الدنس وفي موتها وانتقالها اذ تتسلط من سطوة الفساد والبلى الذي هو نتيجة الخطيئة ومريم بريئة من الخطيئة اذن لا يدنو منها الفساد. واستنتج العلماء انتقال العذراء من قول الملاك لها : « السلام عليك يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معك ». فهذه الممتلئة من نعم الرب هي حائزة ايضاً على النعمة الكبرى على تمجيد جسدها في المجد الخلود ولانها مباركة في النساء ومباركة ثمرة بطنها[4]. مع ذلك لا يمكن للاهوتيين ان يبرهنوا على ان هذه الايات تعني بنصها الحرفي على انتقال البتول بل مطابقة معناها الروحي على صعود العذراء بالنفس والجسد وهكذا تملك الآباء في

١) رؤيا ١٢-١ ٢) رؤيا ١٢-١٤ ٣) تكوين ٣-١٥ ٤) لوقا ١-٤٢

تفسيرهم واستخلاصهم عقيدة الانتقال من الاشارات والرموز الكتابية فحسب.

ماذا يعلم الآباء عن انتقال مريم العذراء الى السماء

ان الشهادات على موت وانتقال مريم قليلة ونادرة في القرون الستة الاولى للمسيحية فقبل المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وما لدينا شهادة واضحة الا جملة صغيرة جاءت عرضاً في تعليم اوريجنوس حيث قال : « ان مريم العذراء لبثت بتولاً حتى موتها .» وهكذا قال المعلمون افرام وايرونيموس والقديس اغسطينوس وغريغوس نيصص اخو باسيليوس الكبير . وفي القرن السادس راجت احدوثة سماها المؤرخون المتأخرون «الاحدوثة الافثيمية Histoire Eutymiaque» الموجودة في الخطبة الثانية على الانتقال ليوحنا الدمشقي . وملخص الاحدوثة ان الملك مركيانوس طلب سنة ٤٥١ من المطران جوفينال اسقف اورشليم يوم كان في القسطنطينية في مجمع خلكيدونية طلب منه ذخيرة من جسد والدة الاله ليضعها في الكنيسة التي شيدها الملك في فلاشرناس على اسم والدة الاله . فاجابه الاسقف ان العذراء ماتت وانتقلت بجسدها الى مكان غير معلوم بحيث يتمتع بعدم البلى قبل القيامة . وذلك لان قبر العذراء وجد فارغاً وليس لدينا ولا ذخيرة من جسد العذراء »[1] .

والتقليد الموجود في الكتب المزيفة يخبرنا انه بعد موت العذراء بثلاثة أيام وصل توما من جهات الهند الى اورشليم وطلب من الرسل ان يشاهد لآخر مرة جسد العذراء ويودعها قبل ان يغادر اورشليم فذهب الرسل مع توما وفتحوا القبر وازاحوا الحجر فلم يجدوا جسد البتول انما وجدوا الكفن والثوب والزنار . وهكذا انتشرت في الاجيال المتأخرة التي فيها ظهرت هذه الكتب المزيفة انتشرت احدوثة انتقال العذراء وكرسها العيد الرسمي الذي تعين بنوع ثابت في الخامس عشر من آب وبمناسبة العيد ظهرت خطب الآباء في انتقال العذراء وانانشيد الشعراء والمرنمين الذين ملأوا الكون من صدى انغامهم ووثبة ايمانهم فكان لهذه الاصداء الوقع الحسن في قلوب المؤمنين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم فأشادوا على كل تلة وفي كل صقع كنيسة تعبر عن وحدة ايمانهم في

(١) P. G. t. XCVI col. 248 et 752

موت العذراء وانتقالها الى السماء . لنسمع الان بعض اقوال الآباء في انتقال العذراء : قال القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية مخاطباً العذراء الوالدة : «كيف تقدرين ان تعانقي الفساد وانت بجسدك الذي اعطيته لابن الله خلصت الجنس البشري من الفساد. انت غبت عن معاشرة الناس فكان موتك ضرورياً ليثبت حقيقة جسد الكلمة الذي منك صار انساناً ... وقد اراد هو نفسه ان يموت وهكذا اكمل معجزتين الاولى في قبره المحيي والثانية في قبرك الحي فكلاهما تقبلا جسد الابن وجسد الوالدة فلا هذا ولا ذاك استطاع ان يحفظ ضمنه الجسد حتى يفنيه الفساد . اذ لم يكن لائقاً ان تابوت جسدها الذي استوعب من الله يسقط تراباً كباقي الاجساد اجل كان ينبغي ان الحياة تسكن مع الحياة انها ارتاحت بالموت لكي تنام لحظة وتقوم بعدها»[1] .

والقديس يوحنا الدمشقي لفظ في ليلة واحدة من ليالي العيد ثلاث خطب في موت العذراء وانتقالها المجيد وهو مؤمن بهذه الحقيقة الايمانية لانها المجد الاثيل لمريم والدة الاب الدائمة البتولية والدمشقي يثبت ايمانه بهذه العقيدة على برهان اللياقة ويزيد عليه سبباً آخر يستخلصه من دوام بتولية مريم اذ يقول : اذا كان الابن لم يسمح بأن يتغير بالامومة كمال والدته الطبيعي فما سمح ايضاً بفساد جسد امه بالموت . كان من اللائق ان الأم تتحد بالابن لانها جعلت نظرها ثابتاً الى ابنها المصلوب وكان من اللائق ان تبصره في مجد الآب بأبصارها ومن اللائق ان يشرك الكلمة مريم في عرشه ليكرمها الكون كله » . ثم يزيد افكاره وضوحاً اذ يقول :« بعدل أسلمت حواء للحزن والموت بما انها اصغت لمشورات العدو الخداع غير ان البتول المباركة كانت خاضعة كل الخضوع لصوت الله وصارت اماً بفضل روح الله القدوس فلم يمكنها ان تحتمل طغيان الموت ولا التفكك في الرمس .»

« بماذا اسميك ايتها البتول الكلية القداسة وبماذا اسمي السر هذا المكتمل فيك ؟ ان نفسك انفصلت عن جسدك حقاً ولكن جسدك وان استودع القبر فلا يليث فيه لئلا يتفكك . ان امومتك لم تعدمك طهارتك وعدم الفساد يقاوم الموت وكما ان الشمس اذا حجبها القبر لا تفقد من بهائها هكذا انت

(١) P. G. t. XCVIII col 345 , 348

ايتها العذراء. وان كسفت قليلاً في ظلمات الموت مع ذلك لم تتوقفي عن دفق الضياء. فمبورك لم يكن سوى نهار قصير »[1] .

وقبل الدمشقي نجد شهادات في خطب القديس اندراوس اسقف اقريطش وهو من طليعة القرن الثامن مات سنة ٧٢٠ قال: « يعتقد كل انسان ان الاعجوبة التي تمت في ايليا واخنوخ والذين ارتقوا الى السماء بدون ان يروا باب الموت قد تحققت في العذراء المجيدة فهي وحيدة لا مثيل لها لانه لمشهد جديد حقاً مشهد امرأة اطهر من السماء تلج بتابوت جسدها الى السماوات مشهد عجيب جديد هو ان العذراء ارتفعت بملادها فوق السيرافيم وصعدت بالقرب من الله مشهد عجيب جديد مشهد ام الحياة التي كانت نهاية حياتها الارضية كآخرة ابنها يسوع الحبيب[2] .»

وبين القرن السابع والسادس عاش القديس موديستوس البطريرك الاورشليمي وهو شاهد على التقليد الحقيقي الذي كان سائداً في ايامه ويشهد ان جماهير غفيرة كانت تؤم زيارة قبر العذراء في الجثمانية مع علمهم بأن القبر كان فارغاً فيقول: «عندما اكملت السفينة الحية التي حملت في احشائها الاله اكملت مسيرها رمت المرسى في ميناء أمين هادئ الى الابد حيث كان بانتظارها ملك الكون الذي ولد منها وخلص الاسرة البشرية من طوفان الاثم وقد ارسل الاله من علو السماء جوقة من الملائكة لتحمل اليه تابوته المقدس الذي تغنى به النبي داود حين قال: « قم يا رب الى راحتك انت وتابوت قدسك » فهي تابوت لا مثيل له اذ لم يصنع بيد انسان بل هي صنع الله انها غير موشاة بالذهب ولكنها تسطع ببهاء الروح القدس الساكن فيها والمسيح الذي اخذ منها الطبيعة البشرية الكاملة دعاها اليه وعلى سبيل المقايضة ألبس جسدها ثوب عدم الفناء وتوجها بمجد فريد قامت الملكة عن يمين الملك»[3] . انها تملك الى الابد حائزة على الحياة التي لا تنتهي وقد اتحدت بابنها الذي دعاها من القبر .

شهادة الليتورجيا والكتب الطقسية

بهذه الشهادات من الآباء والكتبة الاقدمين نتصل بالقرون الاولى بحيث

(١) P. G. t. XCVI col. 728
(٢) P. G. t. XCVII col. 1081
(٣) P. G. t. L XXXVII col. 3392

نقف على لمحة من تقوى المؤمنين فتقدم لنا برهاناً على انه منذ انتشار الدين المسيحي ونضوج الفكر اللاهوتي وانتصار الكنيسة اخذ المؤمنون يفكرون بانتصار العذراء ويتغنون به في صلواتهم وانا شيدهم الدينية التي هي صدى ايمانهم بهذه العقيدة التي اخذت اليوم غايتها وملأها من التعليم الرسولي والسلطة الكنسية العليا التي ارتكزت في تحديد العقيدة على صلوات الليتورجيا لانه بحسب المثل السائر « شريعة الصلاة هي مطابقة لشريعة الايمان » والليتورجيا لا تخلق الايمان بل هي ثمرته .

ولو تصفحنا كتاب الفرض في الطقس اليوناني لوجدنا ان خدمة عيد الانتقال في الخامس عشر من آب غنية بالعقائد والحقائق اللاهوتية وهي مسبوكة بقالب شعري لذيذ وواضح : نرى ان العذراء « البارزة من حقو مائت قد ماتت بحسب سنة الطبيعة »[1] وانها لم تأب الدفن لان يسوع المسيح ابنها قد دفن ، ويوحنا الدمشقي شاعر العذراء وبوق الكنيسة وقيثار الروح القدس يقول : اذا كان ثمرة البتول غير المدرك قد احتمل الدفن باختياره فكيف تأبى الدفن تلك التي ولدته بغير زواج[2] . ثم يزيد توضيح معتقده « انها خضعت لنواميس الطبيعة مضارعة ابنها وخالقها وماتت معه لتنهض معه الى الابد[3] . وماتت لما بلغت الى منتهى العمر[4] .

على ان الموت الذي هو سبب غبار وفساد للجميع لم يكن سوى ثمر لذاك الجسم الذي لم يعرف الخطيئة ولم يخضع لسلطان الفساد : فالذي صان العذراء في الولادة صان جسمها في الرمس بغير فساد[5] . ولم يشترك جسدها الطاهر في خبرة المنية[6] لان في رقادها اذن موتاً بغير فساد وهذا الموت اصبح للعذراء الأم أفضل من حياة دائمة ، لانه نقل البتول من الوقتيات الى الحياة الالهية[7] .

اجل لبث الجسم بعد الموت مصوناً بغير اذى « وصار انتقال من الأرض الى السما بطريقة مستغربة بالحقيقة وقد تم هذا الانتقال بسرعة « لان البتول

---

١) ميتارن ١٥ شهر آب ٨٣٩ قانون يوحنا الدمشقي اودية ٣ — ٢
٢) اودية ٦ — ٤
٣) قانون اول اودية ١ — ٢
٤) ١٤ آب قانون اودية ٨ — ١
٥) قانون اول ٦ — ٢
٦) اودية ٦ — ٣
٧) اودية ٤ — ٣

لكيما تشاهد جمال ابنها عمدت اليه سريعاً »[1] . فاصبح رمسها الالهي شهياً ومملوءاً من نعمة جسدها يتدفق لنا بجداول الشفاء كأنهار تزيل الاوجاع كلها »[2] .

وموضوع العيد في الكنيسة البيزنطية يدور على هاتين العقدتين اننا نعيّد لتذكار رقادك الموقر ولارتقائك بمجد الى ابنك وإلهك »[3] . والقديس تاوفانوس المرنم يقول للعذراء : « ان رمسك الشريف يكرز الآن بدفنك وبانتقالك بالجسد الى السماوات »[4] .

Ὁ Τάφος σου Κηρύττει, Παναγνωμε, τὴν ταφήν σου, καὶ τὴν μετὰ σώματος πρὸς οὐρανοὺς νῦν Μετάστασιν.

Ménées. p. 400.

وهذا الارتقاء قد تم بالنفس والجسد . انتقلت نفسها ولكن ليس من العجب الكبير ان تنتقل روح العذراء الى السماء فهذا انعام شامل لكل الذين عاشوا بالتقوى والقداسة ولكن الانعام الخاص بمريم انها انتقلت الى السماء بنفسها وجسدها ولكن لا بقوتها الذاتية بل بقوة يسوع ابنها الالهي . ففي القانون الموضوع لتقدمة عيد انتقال العذراء نجد هذه الشهادة الصريحة بانتقال جسد العذراء : « لنسبح الرب الذي نقل امه الطاهرة والكلية البر والقداسة بالجسد الى بلدة الأحياء »[5] .

وهناك تصريحات اخرى : « ايتها البتول ان جسدك قد صعد من القبر وابقى لنا فيه البركة »[6] . ثم اننا نحس من خلال الاناشيد « ان الملائكة

---

١) ١٤ آب قانون ١ — ٣

٢) ١٤ آب قانون اودية ٧ — ٣

٣) ايكابتلاري ١٤ آب

٤) قانون تقدمة ٥ — ١

٥) ١٤ آب قانون ١ — ١

Ἀσωμεν τῷ Κυρίῳ, τῷ ἐν χώρᾳ ζώντων μετασταθέντι τὴν αὐτοῦ κατὰ σάρκα Παναγίαν Μητέρα.

٦) ١٤ آب قانون ٧ — ٣

Ἦφθη τὸ σῶμα μὲν τοῦ τάφου παραμένει δὲ ἡμῖν. ἡ εὐλογία. Παρθένε ἁγνή (402).

والمراتب غير الهيولية قد وافت من السماء الى صهيون يعتنون بجسمها[1] . وان الاجناد والملائكة في حين الانتقال ستروا جسدها الرحب القابل الاله بأجنحتهم الموقرة بخوف وفرح[2] وافوا ليشيعوا الجسم القابل الاله الفائق الكرامة[3] . فهذا الجسد الذي لم يشترك بخبرة المنية ولا بفساد القبر قد صعد من تشويش وجلبة العالميات بأسرها[4] .

انتقلت العذراء الى السماء بنفسها وجسدها على ايدي الملائكة وهي الآن قرب ابنها الالهي لان البتول الملكة وعروس الاله تنتقل الى ابنها وترتقي من الارض لتنتظم في المملكة الالهية[5] . وقد تقبلتها «المظال السماوية بما انها سماء حية ومثلث هناك مزدانة بالبهجة كعروس الاله الملك المنزهة عن كل وصمة»[6] واذا بها الملكة التي قامت من عن يمين الملك موشاة بزينة الذهب المؤشى[7] . وتصبح انذاك حسب القول الليتورجي «البرج المرصوف بالذهب والمدينة ذات الاثني عشر سوراً والكرسي المنقط بالشمس وسدة الملك»[8] التي هي وحدها مباركة وممجدة بجسدها .

ان صوت الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر سُمع في كل اقطار العالم قد اعلن وجدد بسلطانه الاعلى بما انه رئيس الكنيسة المنظور والحافظ الدقيق على وديعة الايمان حدد تلك العقيدة التي شغلت فكر العلماء حقبة طويلة من الزمن حدّد انتقال العذراء الى السماء بالنفس والجسد وجعل من هذه الحقيقة قوة حياة وشعة مجد فدعا بصوته الوالدي ابناء المسيحية ليكرموا البتول في تمجيدها وحض الجميع على السير على هدي هذه الأم التي اصبحنا اليوم بحاجة الى نورها ومثالها الاعلى لتقود الاباء والامهات الى احترام الامومة الطاهرة وحتى تعلم العذارى والشبان جمال البتولية المكرمة فيكون تحديد هذه العقيدة الايمانية حافزاً لنا جديداً لنرتفع عن المادة التي تطغى على وجه الانسانية المتألمة فنخفف نحن بقداستنا شدة هذه السيول الجارفة ونرفع بالنفوس الى الاله الحي مصدر المجد وينبوع كل فرح وسعادة .

---

١) ١٥ آب قانون ١ — ٢
٢) ١٥ آب قانون ٦ — ٢
٣) ذكا كانين غروب سادس .
٤) ١٤ آب قانون ٦ — ٢
٥) ٥ آب قانون ٧ — ٢
٦) قانون الدمشقي ١ — ٢
٧) مزمور ٤٤ — ١٠
٨) ٣٠ ك ٢ أكاثستلاري ٣